

الآيات المعارضة في سورة البقرة دراسة نظرية تطبيقية

The parenthetical verses in Surat AL-Baqarah Practical and Theoretical study

¹ عبد الستار يوسف أحمد ريان، جامعة النجاح الوطنية/فلسطين

² الدكتور: محسن سميح سعيد الخالدي، جامعة النجاح الوطنية/فلسطين

تاريخ الاستلام: 2025/05/03 تاريخ القبول: 2025/05/27 تاريخ النشر: 2025/11/13

ملخص:

تُعنى هذه الدراسة بتحليل أسلوب الاعتراض من خلال تعريفه، وبيان وأنواعه، وتتبع نشأته في كتب التفسير، بدءاً بالطبري وانتهاء بابن عاشور، الذي أولى الاعتراض القرآني اهتماماً بالغاً لم يجاريه فيه أحد من المفسرين. كما تُبرز الدراسة الآيات المعارضة في سور البقرة، من حيث بيان معناها الإجمالي، ووجه اعتراضها للسياق الواردة فيه، وكشف سبب الاعتراض، وبيان قوة ارتباطها بسياقها، وانسجامها مع محور السورة الرئيس. وقد كان من أبرز الأوجه التي تُظهر هذا الارتباط، مقابلة البشارة بالندارة والثواب بالعقاب، وتثبيت النَّبي ﷺ والمؤمنين وتأنيدهم، ولفظ أنظارهم إلى بعض المعاني الخفية، مما يُظهر تماسك النَّص القرآني، ويؤكد إعجازه البياني.

خلصت الدراسة إلى توصيات تدعو إلى تعميق البحث في تتبع الآيات المعارضة في القرآن الكريم، والكشف عن أوجه مناسبتها لسياقها، ودراسة تطور هذا الأسلوب في كتب التفسير، لما له من أثر بالغ في فهم النَّص القرآني، وإظهار ترابطه وانسجامه.

كلمات مفتاحية: الآيات المعارضة، سور البقرة، الاعتراض القرآني.

Abstract:

This study is concerned with analysing the method of Qur'anic parenthesis by defining it, explaining its types, and tracing its origins in the books of interpretation (Tafsir), starting with al-Tabari and ending with Ibn Ashur, who paid great attention to the Qur'anic parenthesis, which was not matched by any of the interpreters. The study also highlights the

parenthetical verses in the Sūrat al-Baqarah, in terms of their overall meaning, their parenthetical state to the context in which they are contained, its reason, and strength of their connection to their context and the main theme of the Sūrat al-Baqarah. One of the most prominent aspects that show this connection is the juxtaposition of the good news with the warning, the reward with the punishment, the confirmation and comforting of the Prophet and the believers, and drawing their attention to some hidden meanings, which shows the coherence of the Qur'anic text, and emphasizes its linguistic inimitability.

The study concluded with recommendations that call for deepening research in tracking the parenthetical verses in the Holy Quran, revealing their relevance to their context, and studying the development of this technique in books of interpretation, as it has a great impact on understanding the Qur'anic text and showing its coherence and harmony.

Keywords: Parenthetical Verses; Surah Al-Baqarah; Qur'anic Interjection.

مقدمة:

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ وَلَمْ يَتْرَكْهُمْ هَمَلًا، وَإِنَّمَا أَرْسَلَ لَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ، مَبْشِرِينَ وَمُنْذِرِينَ، يَبْشِرُونَ مَنْ أَطَاعَ وَاتَّقَىٰ بَجْنَةَ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ، وَيُنْذِرُونَ مَنْ عَصَىٰ وَبَغَىٰ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَنِيرَانِهِ: {رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 165]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْكِتَابَ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ، رَسَائِلَهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَأَمَرَهُ فِيهِمْ وَنَهَىٰ إِيَّاهُمْ، وَشَرِيعَتَهُ فِي أَرْضِهِ، وَدَسْتُورَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَكَانَ آخِرُ هَذِهِ الْكِتَابِ السَّمَاوِيَةِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، الَّذِي نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، الْمُحْفُوظِ مِنْ أَيِّ نَقْصٍ أَوْ تَحْرِيفٍ بِحِفْظِ اللَّهِ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9].

فَكَانَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ مَعْجَزَةً نَبِيْنَا مُحَمَّدٍ الْخَالِدَةِ الَّتِي تَحْدَى الْإِنْسَ وَالْجِنَّ بِهَا؛ فَعَجَزُوا: {قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: 88]، وَقَدْ عَجَزَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ أَنْ يِعَارِضُوا الْقُرْآنَ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ رَغْمَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ، بَلْ عَمِدُوا إِلَىٰ تَكْذِيبِهِ وَاللُّغْوِ فِيهِ وَمُحَارَبَةِ النَّبِيِّ وَصَحَابَتِهِ بِالْقُوَّةِ لَمَّا عَلِمُوا ضَعْفَ حُجَّتِهِمْ أَمَامَ حُجَّةِ الْقُرْآنِ الْغَالِبَةِ.

وَقَدْ تَعَدَّدَتْ وَجُوهُ الْإِعْجَازِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَكِنِ التَّحْدِي كَانَ فِي نَظْمِهِ وَأُسْلُوبِهِ، وَمِمَّا حَوَاهُ أُسْلُوبُهُ الْمَعْجَزُ أُسْلُوبُ الْإِعْجَازِ: وَيَشْمَلُ: اعْتِرَاضَ الْجُمْلَةِ فِي الْآيَةِ، وَاعْتِرَاضَ الْآيَةِ وَالْآيَاتِ فِي الْمَوْضُوعِ

الواحد، حتى يتوهم الناظر لها للوهلة الأولى أنها مستقلة عن السياق، وما هي إلا ربط في عقد، واتساق مع كل، وإعجاز من الله في كتابه، وقد نبّه على هذا الأسلوب كثير من المفسرين، ولا سيّما من كان له اهتمام في اللغة، مثل الزمخشري، وأبي حيان، والألوسي، والشوكاني، وسيد قطب. غير أن أكثر من اهتم بهذا الأسلوب وتبع الآيات والجمل المعارضة؛ هو ابن عاشور رحمهم الله جميعاً.

وقد كانت فكرة البحث عند تأمل قول الله في سورة البقرة: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186]، فوجد أن هذه الآية التي تحضُّ على الدعاء وتأمّر به؛ قد وردت وسط آيات الصيام وكأنّها مستقلة عنه، وعند تتبع سور البقرة، وجد الباحث أنّ هنالك عدة آيات جاءت على هذه الصورة، فاستدعى ذلك بعد التوكل على الله هذه الدراسة.

أهمية البحث: تظهر أهمية هذا البحث في تعريف الاعتراض القرآني، وتبع الآيات المعارضة في سورة البقرة، وإظهار ارتباطها بالسياق الواردة فيه، وإزالة توهم من ظنّها مستقلة عن سياقها استقلالاً تاماً.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الآتي: ما الآيات المعارضة في سورة البقرة، ومن أوجه ارتباطها بسياقها؟

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى أمور يمكن إجمالها في الآتي:

- 1- التعريف بأسلوب الاعتراض وبيان أنواعه.
- 2- تتبع نشأة مفهوم الاعتراض عند أهل التفسير.
- 3- معرفة الآيات المعارضة في سورة البقرة، ومحاولة الكشف عن ارتباطها بالسياق الواردة فيه.

الدراسات السابقة: من أهم الدراسات السابقة التي تتعلق بموضع البحث:

- 1- مناسبة الآيات المعارضة للسياق في الموضوع القرآني الواحد، محمود فايز البطاينة، رسالة دكتوراة، سنة 2016/2015م. هذه الدراسة من شقين: جانب نظري مطول، وجانب تطبيقي مختصر لم يستوف الآيات المعارضة، حيث درس الباحث فيه الآيات المعارضة في أربع موضوعات رئيسة وهي: الاعتقادية، وآيات الأحكام، والقصص القرآني، والتعليم وتوجيه

الأمة، وبلغ عدد المواضع المعارضة في هذه الدراسة تسع عشرة موضعاً، واقتصر على ثلاث آيات معترضة في سورة البقرة فقط¹.

2- الاعتراض في القرآن الكريم مواقعه ودلالاته في التفسير، للباحث عبد الله بن عبده أحمد مباركي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، سنة (1428-1429).

3- دلالة الجملة الاعتراضية في القرآن، للباحث أحمد مرغم، رسالة دكتوراه، جامعة سطيف، 2013.

4- الاعتراض مفهومه ودلالاته البلاغية في القرآن، للباحث الدكتور خالد محمد، جامعة الزيتونة، سنة (2013).

أما هذه الأبحاث الثلاثة: (الاعتراض في القرآن الكريم مواقعه ودلالاته في التفسير، دلالة الجملة الاعتراضية في القرآن، الاعتراض مفهومه ودلالاته البلاغية في القرآن)، فقد اهتمت بالجملة المعارضة بمفهومها النحوي، مبرزة الجوانب النحوية والبلاغية لهذا الأسلوب دون التطرق للآيات المعارضة.

وقد تميزت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بما يأتي:

- 1- بينت معنى الاعتراض لغة واصطلاحاً، وتتبع تطور المصطلح في كتب التفسير، وهذا لم أطلع عليه في بحث سابق.
- 2- أنّها جمعت بين الجانب التأصيلي النظري، والجانب التطبيقي بشكل متوازن دون تطويل في الجانب النظري، لإعطاء الجانب التطبيقي العملي مساحة أكبر.
- 3- تتبع الآيات المعارضة في سور البقرة باعتبار الاعتراض بآية واحدة فقط.
- 4- وضّحت الآثار التفسيرية التي أضافتها الآيات المعارضة إلى سياقها في سورة البقرة، مع تجنّب الإطالة في سرد الأقوال التفسيرية المتشابهة، والاكتفاء بالنقل الذي يُبرز الغرض من الاعتراض، ويبين أثره في توضيح المعنى، وتعميق الدلالة.

¹ باعتبار الاعتراض بآية واحدة، وقد ورد موضعاً رابعاً: اعتراض بآيتين.

5- تتبعت الدراسة المحور الرئيس لسورة البقرة، وربطت الآيات المعارضة بمحور السورة، مما ساهم في إبراز انسجامها مع السياق الكلي، وتوضيح دورها في تحقيق الترابط الموضوعي داخل السورة.

منهج الدراسة: اعتمدت في دراستي على المنهج الاستقرائي والوصفي، والتحليلي والاستنباطي، وذلك من خلال:

- استقراء سورة البقرة، والنظر في كتب التفسير لاستخلاص وتحديد الآيات المعارضة فيها.
- وصف وجه اعتراض الآية داخل النص ذي الموضوع الواحد.
- بيان وتحليل سبب الاعتراض في الآيات المعارضة، واستنباط الفوائد التفسيرية والبلاغية والتربوية المترتبة عليه، وبيان أثره في تعزيز المعنى وتأكيد المقاصد القرآنية.

خطة البحث

المبحث الأول: تعريف الاعتراض القرآني وبيان أنواعه.

المطلب الأول: تعريف الاعتراض القرآني.

المطلب الثاني: نشأة القول بالاعتراض لدى أهل التفسير.

المطلب الثالث: أنواع الاعتراض

المبحث الثاني: تطبيقات الآيات المعارضة في سورة البقرة

المطلب الأول: لمحة تعريفية بسورة البقرة

المطلب الثاني: مواضع الآيات المعارضة في سورة البقرة

المبحث الأول: تعريف الاعتراض القرآني وبيان أنواعه.

المطلب الأول: تعريف الاعتراض القرآني.

أولاً: تعريف الاعتراض في اللغة:

الاعتراض: من عَرَضَ، وجمعه أعاريض²، وله عدة معان منها:

- 1- المنع؛ والأصل فيه أن الطريق إذا اعترض فيه بناء أو غيره منع السابلة من سلوكه، واعترض الشيء دون الشيء: إذا حال دونه³.
- 2- الظهور والبروز؛ "وأعرض الشيء من بعيد، أي: ظهر وبرز، تقول: النهر معرض لك، أي: موجود ظاهر لا يُمنع منه.. قال عمرو بن كلثوم⁴:
"وأعرضت اليمامة واشمخرت ... كأسياف بأيدي مُصَلَّتينا"⁵.
- 3- "العرض خلاف الطول؛ تقول منه: عَرَضَ الشَّيْءُ يَعْرِضُ عَرْضًا، فهو عَرِضٌ"⁶.
- 4- المجازاة؛ "وعارضته بمثل ما صنع، إذا أتيت إليه بمثل ما أتى إليك، ومنه اشتُقَّتِ المعارضة"⁷.
- 5- "معارضُ الكلام؛ وذلك أَنَّهُ يخرجُ في معرضٍ غير لفظه الظاهر"⁸.

² ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، 7/ 184، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ.

³ انظر: الحميري؛ نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت 573هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، 7/ 4504، تحقيق: د حسين العمري، مطهر بن علي الإيراني، د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1420هـ، 1999م، والفيروزآبادي؛ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ): القاموس المحيط، ص: 646، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426 هـ، 2005 م.

⁴ ابن دريد: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت 170هـ)، جمهرة أشعار العرب، ص279، تحقيق: علي البجادي، نهضة مصر للطباعة، 1431هـ.

⁵ الفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (المتوفى: 170هـ): العين، 1/ 272، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

⁶ وقد جعل ابن فارس كل المعاني عائدة لهذا المعنى، واطال الكلام في بيان ذلك، انظر: ابن فارس؛ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللغة، 4/ 269-281، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م.

⁷ الفراهيدي؛ العين، 1/ 272.

ولعل أقرب المعاني اللغوية إلى المعنى الاصطلاحي؛ المعنى الأول والثاني؛ فالاعتراض في القرآن الكريم فيه معنى المنع؛ لأنه اعتراض بين شيئين، وفيه كذلك إظهار وإبراز لبعض المعاني الخفية.

ثانياً: تعريف الاعتراض في الاصطلاح:

"هو أن يأتي في أثناء كلام، أو بين كلامين متصلين، معنىً بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكتة سوى رفع الإبهام، ويسمى: الحشو⁹ أيضاً، كالتنزيه في قوله تعالى: { وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ } [النحل: 57]"¹⁰.

وعرفه الزركشي بقوله: "هو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى، بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه ولا يفوت بفواته، فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين لنكتة، وقيل: هو إرادة وصف شيئين، الأول: منهما قصداً، والثاني: بطريق الانجرار، وله تعليق بالأول بضرب من التأكيد"¹¹.

وبناء على ما تقدّم من تعريفات لغوية واصطلاحية. يمكن تعريف الاعتراض القرآني، بأنه إدخال جملة أو أكثر داخل السياق القرآني دون التأثير على البناء النحوي للجملة الأصلية، لتحقيق غايات بلاغية، مثل التأكيد، والتوضيح، والتنبيه، أو إبراز معنى معين يفيد السامع.

ثالثاً: حد الاعتراض: من خلال التعريفات السابقة يظهر أن حد الاعتراض أن تأتي الجملة المعارضة منقطعة عما قبلها وبعدها في سياق واحد، فتكون دائماً لا محل لها من الإعراب، وهذا الضابط مهم في تمييز الجملة المعارضة عن الجملة المستأنفة أو التذييل وغيرها من الجمل¹².

⁸ ابن فارس: مقاييس اللغة، 4/274.

⁹ ولم يرض الحلبي تسميته حشواً فقال: وسماه قوم حشواً، وليس بصحيح، للفرق الواضح بينهما، وهو أن الاعتراض يفيد زيادة معنى في غرض الشاعر، والحشو لإقامة الوزن فقط" وقال أيضاً: وأما الاعتراض ففيه من المحاسن المتممة للمعنى المقصود، انظر: الحلبي؛ عبد العزيز بن سرايا بن علي (المتوفى: 750هـ): شرح الكافية البديعية، ص: 320-321، تحقيق: نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط2، 1412هـ.

¹⁰ الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ)، التعريفات: 30-31، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ.

¹¹ الزركشي؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، 56/3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ-1957م.

¹² انظر: العصامي؛ إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، 2/96، تحقيق: عبد الحميد هندادي، دار الكتب العلمية، بيروت، وسيد مير شريف؛ علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني

قال السيوطي: "والاعتراضية هي التي تفيد تأكيداً وتسديداً للكلام الذي اعترضت بين أجزائه، وفي البسيط شرطها أن تكون مناسبة للجملة المقصودة، بحيث تكون كالتأكيد أو التنبيه على حال من أحوالها، وألا تكون معمولة لشيء من أجزاء الجملة المقصودة، وألا يكون الفصل بها إلا بين الأجزاء المنفصلة بذاتها"¹³.

وبناء على ذلك يمكن تعريف اعتراض الآيات القرآنية بأنه أسلوب بياني من أساليب القرآن الفريدة؛ يتمثل في ورود آية أو أكثر داخل سياق موضوع معين، رغم اختلافهما الظاهري؛ وذلك لتحقيق فائدة إضافية تُثري النظم القرآني، وتعزز الترابط والاتساق فيه، وتكشف عن جوانب متعددة من الفوائد التفسيرية والبلاغية والتربوية، وتُضيف إلى المعنى مقاصد ودلالات جديدة، إلى جانب ما تحمله من معانٍ أصلية.

المطلب الثاني: نشأة القول بالاعتراض لدى أهل التفسير:

تطور مفهوم الاعتراض عند أهل التفسير ومرَّ بعدة مراحل، بدءاً بالإمام الطبري ووصولاً إلى العصر الحديث، وبيان ذلك على النحو الآتي:

1- أول من أشار لهذا المصطلح بوضوح من المفسرين: الإمام الطبري في تفسيره الجامع، وذلك في تفسير قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: 18]، حيث جعل جملة: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) بقراءة كسر الهمزة جملة معترضة، حيث قال: "والوجه الثاني: أن تكون "إنَّ" الأولى مكسورة بمعنى الابتداء، لأنها معترضٌ بها، "والشهادة واقعة على "أَنَّ" الثانية: فيكون معنى الكلام: شهد الله - فإنه لا إله إلا هو - والملائكة، أنَّ الدين عند الله الإسلام، كقول القائل: "أشهد - فإني محقٌ - أنك مما تعاب به برئ"، ف"إنَّ" الأولى مكسورة، لأنها معترضة، "والشهادة" واقعة على "أَنَّ" الثانية"¹⁴.

الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، مبادئ قواعد اللغة العربية ص 40، تعريب: حامد حسين، مكتبة الفيصل، شاهي جامع مسجد ماركيت، اندرقلعة، شيتاغونغ، ط 1، 1408هـ، 1987م.

¹³ السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 2/ 327، تحقيق: عبد الحميد هنداي، المكتبة التوفيقية، مصر.

¹⁴ الطبري؛ أبو جعفر، محمد بن جرير (المتوفى: 310هـ): جامع البيان، 6/ 270، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

2- أما أول من أظهر أسلوب الاعتراض بوضوح في تفسيره في عدة مواضع؛ فهو الإمام الواحدي في تفسيره (البسيط)، وقد أحصيت أكثر من عشرين موضعاً في تفسيره¹⁵، أثبت فيها الاعتراض في بعض الآيات والجمل القرآنية، منها:

قال الواحدي: "وعلى هذا يكون قوله: {فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} [النساء: 62]، كلام معترض. وقد يفعل ذلك العرب، يدخلون بين كلام متصل فصلاً يقرب منه في المعنى، وليس هو إياه، وهو كثير في الشعر، من ذلك قول الشاعر:

وقد أدركتني والحوادث جمّة *** أسنة قوم لا ضعاف ولا عزّل¹⁶

أراد: أدركتني أسنة قوم، فأدخل بينهما جملة معترضة"¹⁷.

3- شيوخ المصطلح في كتب التفسير، بدءاً من الزمخشري في كتابه (الكشاف)، وقد وقفت على عشرات المواضع، أثبت فيها الزمخشري الاعتراض في بعض الكلمات والجمل والآية والآيات، وهذا يُظهر عناية الزمخشري بهذا الأسلوب، وقد عثرت خلال بحثي على رسالة ماجستير بعنوان، "أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم من خلال الكشف للزمخشري، دراسة نحوية"¹⁸، وهذا يُظهر مدى اهتمام الزمخشري بهذا الأسلوب، وقد أجلّت ضرب الأمثلة على الآيات المعارضة، للفصل الثاني والثالث؛ لأنه لا غنى عن ذكر بعض توجهات الزمخشري لبعض الآيات المعارضة.

وبعد الإمام الزمخشري شاع المصطلح في كتب التفسير، وظهرت عناية بعض المفسرين به على نحو قريب من اهتمام الزمخشري، مثل الإمام أبي حيان في كتابه (البحر المحیط)، والسمين الحلبي في كتابه (الدرر المصون)، وابن عادل في كتابه (اللباب)، والألوسي في كتابه (روح المعاني)، واهتم محمد المظهري في كتابه (تفسير المظهري) بهذا الأسلوب؛ وذلك في أكثر من مئتي موضع من كتابه عالج فيها الجمل والآيات المعارضة، وكشف عن فوائد اعتراضها.

¹⁵ وقد اختلفت الصيغة في تعبيره، فأحياناً يقول جملة: (معتضة)، أو (الآية اعتراض)، أو (كلام معترض)، انظر: الواحدي؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (المتوفى: 468هـ): التفسير البسيط، 5/ 355، 9/ 489، 11/ 408، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.

¹⁶ القائل: حنظلة بن عمار، انظر: أبو عبيدة؛ معمر بن المثنى (المتوفى: 209هـ)، شرح نقائض جرير والفرزدق، 2/ 481، تحقيق: محمد إبراهيم حور، ووليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط2، 1998م.

¹⁷ الواحدي: التفسير البسيط، 6/ 553.

¹⁸ رسالة ماجستير للباحث رابع العربي، اشراف: د. محمد العيد رتيمه، جامعة الجزائر، كلية الآداب، 2001/2002م.

4- العناية الشديدة بهذا الأسلوب؛ وهذا يظهر في تفسير واحد؛ وهو تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)، فلا يجاريه أحد من المفسرين ممن سبقه ولا ممن أتى بعده في عنايته بهذا الأسلوب، حيث لا يكاد يترك موضوعاً فيه جملة أو آية معترضة وسط سياقها إلا ونبّه إلى هذا الأسلوب؛ وذلك في مئات المواضع من تفسيره. قال ابن عاشور في مقدمة تفسيره: "تكثّر في القرآن الجمل المعترضة لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك فإنّ كل جملة تشتمل على حكمة وإرشاد أو تقويم مُعْجَزٍ"¹⁹.

ولشدة عناية الطاهر ابن عاشور بهذا الأسلوب كتب مجموعة من الباحثين حول منهج ابن عاشور في الاعتراض من زوايا متعددة²⁰، ومع ذلك فهذا التفسير غني جداً بتتبع أسلوب الاعتراض في الجمل والآيات القرآنية، ويصلح هذا الموضوع لبحث مطول يدرس أسلوب الاعتراض عند ابن عاشور في تفسيره؛ لأنّ الأبحاث المذكورة ركزت على جوانب محددة، ولم تكن شاملة لتتبع هذا الأسلوب في تفسيره.

المطلب الثالث: أنواع الاعتراض

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، مشتملاً على الأساليب العربية في الكلام، ومن ضمن هذه الأساليب أسلوب الاعتراض، والاعتراض في اللغة قد يأتي بكلمة أو جملة أو عدة جمل، وبناء على ذلك يمكن تقسيم الاعتراض في القرآن الكريم إلى أربعة أنواع، على النحو الآتي:

الفرع الأول: اعتراض الكلمة

أكثر أهل اللغة والتفسير منعوا الاعتراض بالمفرد؛ وذلك لأنّ مقصد الاعتراض إضافة معنى جديد وسط الكلام، وهذا لا يمكن بأقل من جملة، ومع ذلك نجد بعض أهل اللغة أجاز الاعتراض بالمفرد

¹⁹ ابن عاشور؛ محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: 1393هـ): التحرير والتنوير، 81/1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

²⁰ ومن تلك الأبحاث: توثيق الأبحاث بشكل كامل:

– الجُمْلَةُ الاعتراضية ودلالاتها في سورة آل عمران عند الطاهر بن عاشور، لعبد الحميد حمدي عبد الحميد المقدم، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، العدد السادس، 2023.

– الأغراض الفقهية والشرعية للجمل الاعتراضية عند الطاهر بن عاشور، إبراهيم محمود عبد المنعم، وأ.د. أحمد عبد الله حمود، جامعة الانبار، مجلة الانبار للغات والآداب، 2019م.

– صور من انفرادات ابن عاشور في القول باعتراضية الجمل في كتابه التحرير والتنوير، إبراهيم محمود عبد المنعم، وأ.د. أحمد عبد الله حمود، جامعة الانبار، مجلة الانبار للغات والآداب، 2019م.

نظرياً، قال ابن الأثير: "وحدّه: كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقى الأول على حاله"²¹، ومع أن ابن الأثير بحث أسلوب الاعتراض في عدة صفحات وساق عليه عدداً من الأمثلة؛ إلا أنه لم يقدم مثلاً واحداً على اعتراض المفرد، بل كانت جميع الأمثلة التي أوردها تأتي في سياق اعتراض الجملة.

الفرع الثاني: اعتراض الجملة

قسّم علماء اللغة الكلام إلى: اسم، وفعل، وحرف، وعند اجتماع هذه العناصر؛ فإنّها تشكل الجمل، وقد عرّف الجرجاني الجملة بأنّها: "عبارة عن مركب من كلمتين أُسدت إحداهما إلى الأخرى، سواء أفاد؛ كقولك: زيد قائم، أو لم يفد؛ كقولك: إن يكركني؛ فإنّ جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه؛ فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً"²²، وهذا ما استقر عليه تعريف الجملة مؤخراً²³، قال السيوطي: "والجُمْلَةُ قيل ترادف الكَلَامَ والأَصَحُّ أعم لعدم شرط الإفادة"²⁴.

أما الجملة المعارضة فلا يمكن أن تأتي إلا إذا كانت مُفْهِمة، لذلك عرفها الجرجاني بأنّها: "التي تتوسط بين أجزاء الجملة المستقلة لتقرير معنى يتعلق بها، أو بأحد أجزائها، مثل: زيد -طال عمره- قائم"²⁵، قال ابن فارس: "ومن سُئِنَ العرب أن يعترضَ بين الكلام وتماهِ كلاماً، ولا يكون هذا المعترضُ إلا مُفِيداً"²⁶، وذلك لأنّ الجملة المعارضة توسطت السياق لتضيف معنى جديداً، وهذا لا يتأتى إلا بجملة أو

²¹ ابن الأثير؛ ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 40/3، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

²² الجرجاني: التعريفات، ص: 78.

²³ وهو رأي ابن هشام، انظر: ابن هشام: عبد الله بن يوسف بن أحمد، (ت 761هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص: 490، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، الكفوي؛ أيوب بن موسى الحسيني القريبي الحنفي (المتوفى: 1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص: 341، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، وهنالك رأي آخر وهو رأي المتقدمين الذين كانوا يرون الجملة تساوي الكلام، منهم أبو علي الفارسي وابن جني، انظر: أبو علي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، (توفي: 377): المسائل العسكرية في النحو العربي، ص: 63، تحقيق: د. علي جابر المنصوري، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م، و ابن جني: أبو الفتح عثمان الموصلي (ت 392هـ): اللمع في العربية، ص: 26، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

²³ الجرجاني: التعريفات، ص: 78.

²⁴ السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 55/1.

²⁵ الجرجاني: التعريفات، ص: 78.

²⁶ ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ): الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص: 190، الناشر: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م.

عدة جمل؛ لذلك كانت الجملة المفهمة الحد الأدنى للاعتراض في القرآن الكريم على الأرجح²⁷، وعند تدبر كتاب الله نجد الجملة المعترضة في القرآن الكريم باعتبار موضعها تقسم إلى قسمين²⁸:

الأول: الاعتراض بين أجزاء الكلام، وذلك بأن تأتي الجملة المعترضة بين أركان الجملة²⁹، كأن تأتي بين: معترضة بين الخبر والمبتدأ، نحو قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} [محمد: 2]، فكانت جملة: (وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)؛ جملة معترضة بين المبتدأ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا)، وجملة، (كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ)، قال الألوسي: "(وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)، وهو جملة معترضة بين المبتدأ والخبر مفيدة لحصر الحقيقة فيه"³⁰.

الثاني: الاعتراض بين كلامين متصلين: نحو: الاعتراض في قوله تعالى: { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ } [آل عمران: 36]، قال أبو السعود: "(أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ)، تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه.. والجملة اعتراضية"³¹.

الفرع الثالث: اعتراض الآية

أما اعتراض الآية فهو اعتراض جملة أو أكثر، وذلك بأن تأتي آية واحدة فأكثر وسط سياق معين، بحيث يظن القارئ لها أنها مستقلة عن السياق استقلالاً تاماً، وهي ما جاءت لإضافة معنى معين، كالآية المعترضة وسط آيات الصيام: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}، [البقرة: 186] ويمكن تقسيم الآيات المعترضة في القرآن الكريم، باعتبارين:

²⁷ العربي؛ رابع، أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم من خلال الكشف، ص: 54، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور محمد العبد رتيمة، جامعة الجزائر كلية الآداب، 2002/2001م.

²⁸ انظر: العربي: أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم من خلال الكشف للزمخشري، ص: 66-81.

²⁹ وقد تأتي أيضا بين الفعل والفاعل وبين الموصوف والصفة، والموصول وصلته، وبين الجار والمجرور، وبين الحال وصاحبها.

³⁰ الألوسي؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: 1270هـ): روح المعاني، 13/ 195، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ.

³¹ أبو السعود؛ العمادي محمد بن مصطفى (ت 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 2/ 28، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأول: الآيات المعارضة من حيث طبيعة الاعتراض إلى ثلاثة أقسام:

1- أن تتوسط الآية المعارضة سياقين مختلفين، بحيث لا يكون لها ارتباط ظاهر بالسياق السابق أو بالسياق اللاحق، ومثاله؛ قول الله: {إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 158] فقد توسطت هذه الآية سياقين مختلفين، فالسياق السابق يتحدث عن الجهاد في سبيل الله، والسياق اللاحق عن إثم كتمان آيات الله، وما استحقوا بذلك من لعن وطرده من رحمة الله تعالى، واعترضت هذه الآية بموضوع مستقل بين الموضوعين؛ لبيان أحد واجبات الحج والعمرة.

2- أن تتوسط الآية المعارضة سياقاً واحداً، ولكنها تتصل بهذا السياق بوجه من الوجوه، وأكثر هذه الآيات هي اعتراض من قول الله، أثناء إيراد القصص القرآني، ومثاله قول الله: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} [آل عمران: 44]، فقد وردت هذه الآية في سياق ذكر الله قصة مريم عليها السلام، وهذا الاعتراض فيه إظهار منة الله على سيدنا محمد بإخباره أخبار الأقسام السابقة، وهذا كثير جداً في القرآن الكريم³².

وقد بين ابن عاشور أن هذه الآيات المعارضة في القصص القرآني وردت: "للتنبية على موقع الموعظة، وذلك هو المقصود من تلك القصص، فهو اعتراض ببيان المقصود من الكلام، وهذا كثير الوقوع في اعتراض الكلام"³³.

3- أن تتوسط الآية المعارضة سياقاً واحداً، دون أن يظهر لها ارتباط ظاهر به، كما في قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

32 على ذلك أمثلة كثيرة، أذكر منها:

- {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} [هود: 49].
- {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} [هود: 100]
- {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: 120].
- {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ} [يوسف: 102].

³³ ابن عاشور: التحرير والتنوير، 16/9.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 277]، حيث توسطت هذه الآية السياق القرآني الذي يتحدث عن الربا والتشنيع على فاعله، بموضوع مستقل، لا يظهر وجه ارتباطه بسياقه.

المبحث الثاني: تطبيقات الآيات المعارضة في سورة البقرة

المطلب الأول: لمحة تعريفية بسورة البقرة

سورة البقرة سورة مدنية بلا خلاف³⁴، ونقل البقاعي الإجماع على ذلك³⁵، وعدد آياتها مئتان وستة وثمانون آية، وهي السورة الثانية من حيث الترتيب، وهي على رأس السبع الطول، سميت بالزهراء³⁶ وسنام القرآن³⁷، وفسطاط القرآن³⁸.

أما فضائلها فكثيرة جداً، ففيها آية الكرسي؛ أعظم آية في القرآن، وآية الدين؛ أطول آية، وآخر آية نزلت؛ (واتقوا يوماً)³⁹، وآخر آيتين إذا قرأهما المسلم من ليلته كفتاه حتى يصبح⁴⁰. ومن فضائلها أيضاً:

³⁴ انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1/ 194، والسيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، (المتوفى: 911 هـ): الإتقان في علوم القرآن، 1/ 41، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394 هـ، 1974 م، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774 هـ): تفسير القرآن العظيم، 1/ 155، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420 هـ.

³⁵ البقاعي؛ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: 885 هـ): مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، 2/ 5، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1408 هـ، 1987 م.

³⁶ البقاعي؛ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: 885 هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 4/ 197، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

³⁷ للحديث الذي أخرجه الترمذي، عن النبي ﷺ أنه قال: "لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ"، انظر: الترمذي؛ محمد بن عيسى (المتوفى: 279 هـ): سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ برقم 2878، 7/ 5، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395 هـ، 1975 م.

³⁸ -الزمخشري؛ محمود بن عمرو بن أحمد (المتوفى: 538 هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 334/1 دار الكتاب، بيروت، ط3، 1407 هـ.

³⁹ انظر: البخاري؛ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى: 256 هـ): صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب موكل الربا، 734/2، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422 هـ.

1- أَمَّا تَنْفِرَ الشَّيْطَانِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ"⁴¹.

2- أَمَّا تَأْتِي شَفِيعاً لَصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لَصَاحِبِهِ، اقْرَأُوا الزُّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ"⁴².

3- أَمَّا سُورَةُ مُعْظَمَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَدْ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: "وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ: الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، يُعَدُّ فِينَا عَظِيماً"⁴³، أي ذا شأن ورفعة، وما ذلك إلا لعظم هاتين السورتين.

أما محور السورة الرئيس، فهو الهداية والإبعاد عن الضلال⁴⁴، وهذا المقصد يظهر من بداية سورة البقرة وقول الله: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ [البقرة: 2]، ثم ذكر الله بعد ذلك صفات المؤمنين، في ثلاث آيات، وأتبعها بصفات الكافرين في آيتين، وفصل آيات المنافقين بعد ذلك في ثلاث عشر آية، وذلك يتفق مع محور السورة في هداية الخلق باتباع صفات المؤمنين والابتعاد عن سبيل الكافرين والمنافقين.

قال ابن عاشور: "هذه السورة مترامية أطرافها، وأساليها ذات أفنان، قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيها فسطاط القرآن، فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان.. ومعظم

⁴⁰ انظر: مسلم؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (المتوفى: 261هـ): صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضْلِ الْفَاتِحَةِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالْحَيْثُ عَلَى قِرَاءَةِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ، برقم 807، 1/554، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

⁴¹ مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بابُ اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ، وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ، برقم 780، 1/539.

⁴² مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ، برقم 804، 1/553.

⁴³ أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، برقم 12216، 19/248، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.

⁴⁴ انظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 1/55، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، 1/150، والسيوطي:

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، 1/52، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ.

أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعاتهم⁴⁵.

المطلب الثاني: مواضع الاعتراض في سورة البقرة.

أما الآيات المعارضة في سورة البقرة فقد تبين بعد التتبع أنها تقع في ستة مواضع، وبيانها على النحو الآتي:

الموضع الأول: قول الله: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} [البقرة: 119].

أولاً: المعنى الإجمالي للآية المعارضة

ابتدأ الله هذه الآية بضمير المتكلم متفضلاً على نبيه ﷺ، ومذكراً له أن رسالته رسالة حق، للناس جميعاً بشيراً ونذيراً، غير مسؤول عن أصحاب الجحيم من المعاندين والمستكبرين من اليهود والأمم الأخرى.

ثانياً: بيان وجه اعتراض الآية

وردت هذه الآية معترضة في سياق الحديث عن بني إسرائيل، فالآية التي قبلها، قول الله: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} [البقرة: 118]، والآية التي بعدها، قول الله: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: 120]، بين ابن عاشور أن هذه الآية وردت معترضة بينهما، بقوله: "معارضة بين حكايات أحوال المشركين وأهل الكتاب"⁴⁶.

ثالثاً: الكشف عن سبب الاعتراض

يمكن ربط الآية بالسياق من وجهين:

الوجه الأول: من حيث المعنى: لما شابهت هذه الآية، الآية السابقة في موضع اعتراضها، شابهتها كذلك في سبب اعتراضها، فهي آية معترضة بين حكايات أحوال المشركين وأهل الكتاب، ويظهر القصد من اعتراضها من خلال عدة أمور، وهي كما يأتي:

⁴⁵ ابن عاشور: التحرير والتنوير، 1/ 203.

⁴⁶ ابن عاشور: التحرير والتنوير، 1/ 691.

1- تأنيس الرسول من أسفه على ما لقيه من أهل الكتاب ممّا يماثل ما لقيه من المشركين، وقد كان يود أن يؤمن به أهل الكتاب فيتأيد بهم الإسلام على المشركين، فإذا هو يلقي منهم ما لقي من المشركين أو أشد، "فعز عليه إعراضهم عن إجابة دعوته، ولسان حالهم يقول: يا محمد مهما تأتينا من بئنة، ومهما فعلت لإرضائنا، فلن نرضى حتى تتبع ملتنا"⁴⁷.

فكانت هذه الآية تسلية للنبي وتطيباً لخاطره، وعذراً له؛ وذلك أنه غير مسؤول عن قوم عاندوا ورضوا لأنفسهم بالجحيم، وفي ذلك أيضاً تنييس من إيمان اليهود⁴⁸.

قال سيد قطب: "وإذا انتهت مقولاتهم، وفُندت أباطيلهم، وكُشفت الدوافع الكامنة وراء أضاليلهم، يتجه الخطاب إلى رسول الله يبين له وظيفته، ويحدد له تبعاته، ويكشف له عن حقيقة المعركة بينه وبين اليهود والنصارى.. (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ)، وهي كلمة فيها من التثبيت ما يقضي على شبهات المضللين، ومحاولات الكائدين، وتلبيس الملققين، وفي جرسها صرامة توحى بالجزم واليقين"⁴⁹.

فهذه الآيات ونظائرها كانت بمثابة التمهيد لما قد يحصل في المستقبل حتى لا يتفاجأ النبي وصحابته، فهي بمثابة حقائق تُنير الطريق لتكشف لهم حقيقة تكذيب اليهود وعصيانهم، وقد كان؛ فلم يؤمن من اليهود إلا قليل؛ قال النبي: "لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ"⁵⁰.

2- إعلام النبي أن إعراض الكافرين ليس عن نقص في الآيات، فقد ورد في الآية السابقة للآية المعارضة أن الكافرين⁵¹، طلبوا من النبي آية، قال الله: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} [البقرة: 118]، فقد يخطر في بال التَّبيان تأخر إيمان هؤلاء القوم من اليهود والنصارى ومشركي العرب عن نقص في الآيات، أو التباس في فهم الحق الذي جاء من عند الله، فالله ينفي هذا الخاطر، مؤكداً لنبيه محمد أنه ما أرسله إلا بالحق الواضح البين بشيراً ونذيراً للخلق أجمعين. قال أبو حيان:

⁴⁷ الزحيلي؛ د. وهبة بن مصطفى (توفي: 2015): التفسير المنير، 1/ 295، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.

⁴⁸ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، 1/ 691.

⁴⁹ قطب؛ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385 هـ): في ظلال القرآن، 1/ 107 تحقيق: علي بن نايف الشحود.

⁵⁰ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبي P، حين قدم المدينة، 3941، 5/ 70، ومسلم: مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب نزل أهل الجنة، 2793، 4/ 2151.

⁵¹ بين ابن الجوزي أنه جرى خلاف في تحديد القائل في هذه الآية على ثلاثة أقوال: وهم اليهود والنصارى والمشركين، انظر: ابن الجوزي؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597 هـ): زاد المسير في علم التفسير، 1/ 105 تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422 هـ.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ بَيَّنَّ الآيَاتِ، ذَكَرَ مِنْ يُبَيِّنُ عَلَى يَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَخَاطَبَهُ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الآيَاتِ فَقَالَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾، أي بالآيات الواضحة، وَفُسِّرَ الْحَقُّ هُنَا بِالصِّدْقِ وَبِالْقُرْآنِ وَبِالإِسْلَامِ.. أي أَرْسَلْنَاكَ، وَمَعَكَ الْحَقُّ لَا يُزِيلُكَ" ⁵².

والذي يؤكد هذا المعنى أَنَّ الآية الواردة بعد الآية المعترضة، هي قول الله: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: 120]، فالله يقرر حقيقة أَنَّ اليهود والنصارى لن يؤمنوا، حتى لو جاءتهم آيات كثيرة، ومقصدهم هو أن يتبع المخالف ملتهم، وأن يدور في فلحهم، ويؤمن بدينهم المحرّف، والعجب ممن يرجو تأييداً من اليهود والنصارى في هذا العصر، ويغفل عن بيان الله حقيقة هؤلاء القوم، وعدائهم للأمة المسلمة.

3- إعلام الله نبيه بطبيعة الخلق، وانقسامهم إلى مؤمن وكافر أبد الدهر، فالتبّي يجتهد في دعوته بشيراً ونذيراً للخلق أجمعين، وهذا لا يمنع من وجود خلق لا ينتفعون بدعوة ولا موعظة، وهذه حقيقة من حقائق القرآن الظاهرة، قال الله تعالى:

• {وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ خُضُّوْا عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [الأنعام: 116]

• {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف: 103].

ولمّا كان السياق عن عناد اليهود واستكبارهم ذكّر الله نبيه بهذه الحقائق، ونهاه أن يهتم لمن أعرّض عن دعوة الإسلام، لأنّ الجحيم لها أهلها من المكذّبين والمعاندين: قَالَ الْحَرَالِيُّ: "لَمَّا أَجْرَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنَ الْخُطَابِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْعَرَبِ نَبَأَ زَدَّهُمْ لَمَّا أُنْزِلَ أَوَّلًا وَآخِرًا وَنَبَأَ مَا افْتَرَوْهُ مِمَّا لَا شَبَهَ فِي دَعْوَاهُ، أَعْرَضَ بِالْخُطَابِ عَنِ الْجَمِيعِ، وَأَقْبَلَ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ، تَسْلِيَةً لَهُ، وَتَأْكِيداً لَمَّا أَعْلَمَهُ بِهِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ مِنْ أَنَّ الْأَمْرَ مُجْرَى عَلَى تَقْدِيرِهِ وَقِسْمَتِهِ الْخَلْقِ: بَيْنَ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَمُنَافِقٍ" ⁵³.

⁵² أبو حيان؛ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير (المتوفى: 745هـ): البحر المحيط في التفسير، 588/1، تحقيق: صدي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ، لا يزال، أي لا يفارقك.

⁵³ الحرالي: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ النَّجَّيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ (ت 638هـ): تراث أبي الحسن الحرالي، ص: 257، تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ط1، 1418 هـ، 1997 م.

وهذا يتناسب مع السياق اللاحق للآية المعترضة، وبالتحديد مع قول الله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [البقرة: 121]، فالآية قررت أن حال الذين أخذ كتاب ربهم من قبل النبي إلى مؤمن به وكافر.

الوجه الثاني: من حيث سبب النزول: هذا الوجه يظهر من خلال اختلاف القُرَاء في قراءة كلمة (تَسْأَلُ)، في قوله تعالى: {وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} [البقرة: 119]، على قراءتين، كما بينه ابن الجزري: فالقراءة الأولى قراءة الجمهور: "بِضْمِ التَّاءِ وَالرَّفْعِ عَلَى الْخَبَرِ"⁵⁴، ²تَسْأَلُ²، فتكون اللام نافية، وهذه القراءة يظهر فيها الاعتراض بشكل جلي، والتوجيه فيها على ما سبق ذكره.

أما القراءة الثانية: "قراءة نافعٍ وَيَعْقُوبُ بِفَتْحِ التَّاءِ وَجَزَمَ اللامَ عَلَى النَّهْيِ"⁵⁵، ²تَسْأَلُ²، وقد أخرج الواحدي سبباً لنزول الآية على القراءة الثانية⁵⁶، مرسلاً عن مقاتل "أن النبي ع، قال: لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ بِأَسْأَةِ الْيَهُودِ لَأَمْنُوا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ"⁵⁷.

وعلى هذه القراءة يظهر اتصال الآية المعترضة بالسياق؛ وذلك بنهي النبي ع عن السؤال عن أصحاب الجحيم من اليهود والنصارى، أو الاهتمام الزائد بأمرهم، قال الله: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر: 8]، فالتنبي مأمور بالرسالة والبلاغ وغير مأمور بالنتائج، وكم من نبي يرجع يوم القيامة ولم يؤمن به أحد، قال رسول الله: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ع وَمَعَهُ الرَّهِيظُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ"⁵⁸.

⁵⁴ ابن الجزري: شمس الدين، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ): النشر في القراءات العشر، 2/ 221، تحقيق: علي الضباع، 1431 هـ.

⁵⁵ ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، 2/ 221.

⁵⁶ أخرج الواحدي سبباً آخر على هذه القراءة وهو: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: "لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبَوَايَ؟ فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ"، والتوجيه حسب هذا السبب على ما ذكرت في التوجيه الأول، غير أن ابن عاشور رد هذا السبب بقوله: "وما قيل إن الآية نزلت في نهيه ع عن السؤال عن حال أبويه في الآخرة فهو استناد لرواية واهية ولو صحت لكان حمل الآية على ذلك مجافياً للبلاغة إذ قد علمت أن قوله: إنا أرسلناك تأنيس، وتسكين فالإتيان معه بما يذكر المكدرات خروج عن الغرض، وهو مما يعبر عنه بفساد الوضع، انظر: الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (المتوفى: 468 هـ): أسباب النزول، ص: 39، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1412 هـ، 1992 م، وابن عاشور: التحرير والتنوير، 1/ 692.

⁵⁷ الواحدي: أسباب النزول، ص: 43.

⁵⁸ مسلم: صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، برقم، 374، 1/ 199.

رابعاً: ربط الآية بمحور السورة الرئيس

يظهر ارتباط هذه الآية بمحور السورة الرئيس بشكل واضح؛ فالنبي هو منبع الهداية والبعد عن الضلال، والله يمنُّ على نبيه بهذه النعمة العظيمة، وينفي سؤال نبيه عن المعاندين من أصحاب الجحيم على القراءة الأولى، وفي هذا تطمين للنبي؛ وذلك أنه غير مؤاخذ بتكذيب المكذبين بعد تأديته الرسالة على الوجه الذي أمر به.

أما على القراءة الثانية: ففيها نهي النبي عن السؤال عن أصحاب الجحيم من المعاندين؛ لأنَّ رحمة النبي تجعله يهتم بشأنهم، ويكثر من سؤال الله لهم بالهداية، وهذا يتفق مع قول الله: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 80].

وعلى كلتا القراءتين، يظهر اهتمام النبي بهداية قومه وإبعادهم عن الضلال، وهذا هو المحور الرئيس لسورة البقرة، الذي قرَّر في بداية المطلب.

الموضع الثاني: قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186].

أولاً: المعنى الإجمالي للآية المعترضة

آية جليلة عظيمة -وكل القرآن عظيم- تُشعر المرء المسلم بالقرب من خالقه، فالله يجيب نبيه عن سؤال صحابته: أقریب ربنا فنناجیه أم بعيد فننادیه⁵⁹؟ بأنه قريب من عباده، قرب يليق بجلاله وكماله، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ثم أمرهم الله، أن يستجيبوا لأوامره، ويؤمنوا به إيماناً صادقاً، ليكونوا على رجاءٍ من إصابة الرشْد⁶⁰.

ثانياً: بيان وجه اعتراض الآية

⁵⁹ أخرجه الطبري، وابن أبي حاتم، والواحدي، ولفظ الطبري: أنها "نزلت في سائل سأل النبي، فقال: يا محمد، أقریب ربنا فنناجیه، أم بعيد فننادیه؟ فأنزل الله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} الآية، انظر: الطبري: انظر: الطبري: تفسير الطبري، 480/3، ابن أبي حاتم؛ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (المتوفى: 327هـ): تفسير القرآن العظيم، 314/1، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ، والواحدي: التفسير البسيط، 591/3. قال المحقق أحمد شاکر في هامش الصفحة المذكورة من تفسير الطبري: "وهذا الحديث ضعيف جداً، منهج الإسناد بكل حال".

⁶⁰ الواحدي: الوجيز للواحد، ص: 151.

كانت هذه الآية سبباً لبحثي؛ إذ كانت تستوقفني دائماً عند قراءة هذا الموضوع من كتاب الله، فهي واضحة في اعتراضها بين آيات الصيام، فالآية التي قبلها قول الله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: 185] آية تتحدث عن شهر الصيام، والآية التي بعدها: {أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة: 187]، آية تتحدث عن أحكام الصيام كذلك، وموضوع الآية المعارضة مغاير تماماً للسياق، فهي جواب السائلين عن الله؛ بأنه قريب من عباده يجيب دعوة السائلين، حاضراً إياهم الإكثار من دعوته، لعلهم يرشدون إلى مرادهم ورجائهم لربهم، قال الراغب الأصفهاني مثبتاً الاعتراض في هذا الموضوع: "كيف فصل بين الآية الأولى، وبين التي بعد هذه، وهما في حكم رمضان، بهذه الآي، وهي قد اختلفت عنهما؟"⁶¹، وقال الألوسي: "فالجمله على التقديرين اعتراضية بين كلامين متصلين معنى"⁶².

ثالثاً: الكشف عن مناسبة الاعتراض للسياق

لما قلّبت النَّظْرَ في كتب التفسير، وجدت أن أكثر المفسرين اهتموا باعتراض هذه الآية، فحاولوا الكشف عن سبب اعتراضها، وتلخيص توجهاتهم لاعتراض هذه الآية كما يأتي:

1- تحري الدعاء في شهر رمضان المبارك، فالله Y المجيب واحد أحد، قِيومٌ يجيب الداعي في كل الأوقات، ولكن على العبد المؤمن أن يُكثر من الدعاء في هذا الشهر الفضيل تحرياً للإجابة، قال ابن عاشور: "وقيل إنها جملة معترضة اقترنت بالواو بين أحكام الصيام للدلالة على أن الله تعالى مجازيهم على أعمالهم وأنه خبير بأحوالهم... وفي هذه الآية إيماء إلى أن الصائم مرجو الإجابة، وإلى أن شهر رمضان مرجو دعواته، وإلى مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من رمضان"⁶³، وهذا المعنى أكدته السنة النبوية؛ فقد قال رسول الله P: "ثَلَاثَةٌ لَا يَرُدُّ دَعَاؤُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمُظْلُومِ"⁶⁴.

⁶¹ الراغب؛ أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ): تفسير الراغب، 1/ 395، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ط1، 1422هـ.

⁶² الألوسي: روح المعاني، 1/ 461.

⁶³ ابن عاشور: التحرير والتنوير، 2/ 179.

⁶⁴ أخرجه الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب، برقم 3598، 578 / 5، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وصححه: ابن حبان وشعيب الأرنؤوط وآخرون، والألباني، انظر: ابن حبان: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، 8/ 215، الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ): سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 3/ 211، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، وهامش المسند، أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): المسند، 2/ 445، شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.

قال ابن كثير: "وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء، متخللة بين أحكام الصيام، إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر"⁶⁵.

فالآية السابقة للآية المعترضة تناولت أحكام الصائم في النهار، وتناولت الآية اللاحقة للآية المعترضة أحكام الصائم في الليل، وأفاد اعتراض الآية بينهما ضرورة إكثار الصائمين الدعاء في الليل والنهار، ويتأكد بينهما، وهو وقت التقاء الليل بالنهار، وقت إفطار الصائمين، فكأن موضع الآية المعترضة بين آية الصيام النهارية وآية الصيام الليلية، أشار إلى فضيلة الدعاء في هذا الوقت، فيكون فضل الدعاء وقت الإفطار، ثابت بالسنة صراحة، وبالقرآن إشارة.

2- أن هذه الآية مرتبطة بالتكبير الوارد في الآية السابقة من وجوه:

أ- أنه Y أمر بالتكبير أولاً ثم رغب بالدعاء ثانياً، تنبيهاً على أن الدعاء لا بد أن يكون مسبقاً بالثناء الجميل، قال الراغب الأصفهاني: "قيل بل هي من تمام الآية الأولى؛ لأنه لما حث على تكبيره وشكره على ما قيضه لهم من إتمام الصوم، بين أن الذين تذكرونه وتشكرونه قريب منكم ومجيب لكم إذا دعوتهم، ثم تمم ما بقي من أحكام الصوم"⁶⁶.

ب- أنه تعالى بعد إيجاب فرض الصوم، وبيان أحكامه، أمر العبد بالتكبير والشكر، ثم بين أنه سبحانه بلطفه ورحمته قريب من العبد مطلع على ذكره وشكره فيسمع نداءه، ويجب دعاءه، ولا يخيب رجاءه⁶⁷، قال البيضاوي: "واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة، وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر، عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خير بأحوالهم، سمع لأقوالهم مجيب لدعائهم، مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه"⁶⁸.

⁶⁵ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 1/ 509.

⁶⁶ الراغب: تفسير الراغب الأصفهاني، 1/ 395.

⁶⁷ انظر: الرازي؛ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (المتوفى: 606هـ): مفاتيح الغيب، 5/ 260، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

⁶⁸ البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 1/ 125، تحقيق: محمد المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

ت- أنه لما أمر بالتكبير أولاً، فصّل في كيفية تكبير الله ومناجاته، فعن أبي موسى الأشعري؛ أنه قال: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ: "أَتَيْهَا النَّاسُ ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا"⁶⁹، فتكون الآية عبارة عن إجابة سؤال مقدر.

قال محمد رشيد رضا: "الآية جاءت بين آيات الصيام، فهي ليست بأجنبية منها، وإنّما هي متصلة بما قبلها من الأحكام، فقد طالبنا في الآية السابقة بإكمال عدة الصيام وتكبير الله تعالى، وذكر أنّ ذلك يعدنا لشكره تعالى، والتكبير والشكر يكونان بالقول نحو: الحمد لله والله أكبر، كما يكونان بالعمل، وما كان بالقول يأتي فيه السؤال: هل يكون برفع الصوت والمناداة، أم بالمخافتة والمناجاة! فجاءت هذه الآية جواباً عن هذا السؤال الذي يتوقع إن لم يقع، فهي في محلها سواء صح ما روه في سببها أم لا"⁷⁰.

3- إنّ الله تعالى لما فرض عليهم الصيام كما فرض على الذين من قبلهم، وكان ذلك على أنّهم إذا ناموا حرم عليهم ما يحرم على الصائمين، فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا الله ﷻ في ذلك التكليف، ثم ندموا وسألوا النبي عن توبتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية مخبراً لهم بقبول توبتهم، ونسخ ذلك التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم⁷¹.

4- أنّ اعتراض هذه الآية فيه إيناس وتخفيف من مشقة الصائم، قال سيد قطب: (فإني قريب.. أوجب دعوة الداع إذا دعان).. أية رقة؟ وأي انعطاف؟ وأية شفافية؟ وأي إيناس؟ وأين تقع مشقة الصوم ومشقة أي تكليف في ظل هذا الود، وظل هذا القرب، وظل هذا الإيناس؟ وفي كل لفظ في التعبير في الآية كلها تلك الندوة الحبيبة"⁷².

5- تشابه الدعاء والصيام في أنّهما عبادة سر وخفاء، فالصيام سر بين العبد وربه، فمن الذي يحجز الصائم عن الطعام والشراب إذا اختلى بنفسه؛ جاء في الحديث القدسي: "كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"⁷³، وكذلك الدعاء سر بين العبد وربه، فالله جمع في هذا الموضع

⁶⁹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب: الدُّعَاءُ إِذَا عَلَا غَفَبَةً، برقم 6021، 5/ 2346.

⁷⁰ رضا: تفسير المنار، 2/ 134.

⁷¹ انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 5/ 260.

⁷² قطب: في ظلال القرآن، 1/ 173.

⁷³ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب: هَلْ يَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شِئِمَ، برقم 1805، 2/ 673، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، برقم 163، 2/ 807.

عبادات السر المتشابه، ويتأكد هذا المعنى بالآية اللاحقة للآية المعترضة، وكأن الله يذكّر عباده إذا خلا الأزواج إلى بعضهم، فلا ينسى العبد المؤمن خلوته بربه ودعائه له.

قال محمد رشيد رضا: "هذا التفات عن خطاب المؤمنين كافةً بأحكام الصيام، إلى خطاب الرسول ﷺ؛ بأن يذكرهم ويعلمهم ما يراعونه في هذه العبادة وغيرها من الطاعة والإخلاص والتوجه إليه وحده بالدعاء الذي يعدهم للهدى والرشاد، وجعلت بأسلوب الفتوى على تقدير السؤال لتنبيه الأذهان"⁷⁴.

وعند النظر في توجهات المفسرين أعلاه يظهر أنّ الخلاف بينها خلاف تنوع وليس خلاف تضاد؛ إذ يمكن أن يُحمل سبب الاعتراض على كل ما ذكروا، ولكن أوضح هذه التوجهات وأكثرها اتصالاً بالنص والسياق، من وجهة نظري، القول بأنّ اعتراضها حاضاً على الإكثار من الدعاء في شهر رمضان، وأنّ عبادة الدعاء عبادة سر وخفاء ولا يفعلها إلا مُخلص قريب من ربه.

وأن الدعاء في رمضان ليس كالدعاء في غيره، وفيه ليلة القدر؛ الليلة التي نزل فيها القرآن رحمة للعالمين، فيها تفتح أبواب السماء للداعين، وتنزل الرحمات على التالين، فكأنّ الآية تدعونا لأن نستجيب لكتابه المنزل في رمضان، وأن ندعوه به، إنّه هو البر الرحيم.

رابعاً: ربط الآية بمحور السورة الرئيس

تتصل هذه الآية اتصالاً مباشراً بمحور السورة الرئيس الداعي إلى الهداية والبعد عن الضلال، من جهتين:

1- أنّها بشارة لكل مؤمن بأنّ الله قريب من عباده يسمع دعاءهم ونجواهم.

2- أنّها دعوة للطاعة والإيمان، وأي شيء يقرب من الهداية أكثر من الاستجابة لله Y؟

الموضع الثالث: قوله: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [البقرة: 269]

أولاً: المعنى الإجمالي للآية المعترضة

⁷⁴ رضا: تفسير المنار، 2/ 134، وذكر قريب من ذلك الطنطاوي: انظر: الطنطاوي؛ محمد سيد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 391/1 دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

بيّنت هذه الآية قسمة الله Y للحكمة بين عباده، ومن أُعطي الحكمة، فقد نال خيراً كثيراً، وهذه الحقيقة لا يعلمها إلا أصحاب العقول النيرة والمتفتّحة.

ثانياً: بيان وجه اعتراض الآية

وردت هذه الآية في سياق الآيات التي تتحدث عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، فالآية التي قبلها، قول الله Y: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [البقرة: 267]، ثم ورد التحذير من كيد الشيطان الصّارف عن النفقة بما يوهن القلوب فيخوّفهم بالفقر، {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ} [البقرة: 268]، ثم يرغّبهم مرة أخرى بالإنفاق بما يعدمهم ويتفضل عليهم بمغفرة الذنوب والتفضل عليهم من واسع عطائه: {وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 268].

أما الآيات الواردة بعد هذه الآية فكلها موضوعها عن النفقة والتي بعدها مباشرة، قول الله: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [البقرة: 270]، فالسياق السابق واللاحق عن النفقة، قال البقاعي: "اتصل ذكر آية الحكمة بالإنفاق نظماً"⁷⁵، وقال ابن عاشور: "هذه الجملة اعتراض وتذييل لما تضمنته آيات الإنفاق من المواعظ والآداب وتلقين الأخلاق الكريمة، مما يكسب العاملين به رجاحة العقل واستقامة العمل"⁷⁶.

ثالثاً: الكشف عن مناسبة الاعتراض للسياق

كشف المفسرون عن سبب اعتراض هذه الآية، وكلامهم في التوجيه يدور على ثلاثة أمور، وهي أنّ الآية المعترضة:

- 1- دعوة وحضٌّ على الإنفاق في سبيل الله؛ لأنّ الحكيم يفهم الخطاب، فيمثل لأمر الله، قال أبو حيان: "وفي هذا حبٌّ على العمل بطاعة الله، والامتنال لما أمر به من الإنفاق، ونهى عنه من التصديق بالخبيث، وتحذير من وعد الشيطان وأمره، ووثوق بوعد الله، وتنبيه على أنّ الحكمة هي العقل

⁷⁵ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 4/ 97.

⁷⁶ ابن عاشور: التحرير والتنوير، 3/ 60.

المميز به بين الحق والباطل"⁷⁷، وقال أبو السعود: "فيه من الترغيب في المحافظة على الأحكام الواردة في شأن الإنفاق ما لا يخفى"⁷⁸.

ولو كان الموجود لدى المرء المسلم قليلاً؛ فإنَّ صوت الحكمة يقتضي الاستجابة لأمر الله، "فكان أعلى الحكمة الجود بالموجود فبذلك - والله سبحانه وتعالى أعلم - اتصل ذكر آية الحكمة بالإنفاق نظماً وبآية الكرسي مناظرة"⁷⁹.. ولَمَّا كان السياق سابقاً ولاحقاً للإنفاق علم أن التقدير: فما جمعتم من شيء؛ فإنَّ الله مطالبكم في وضعه وجمعه بوجه الحكمة ومحاسبكم على ذلك، فعطف عليه حثاً على الإسرار بالنفقة في الخير"⁸⁰.

2- وصف لحال المنفقين؛ لأنَّهم لم يصلوا لتلك الحال من البذل والعطاء إلا بعد امتلاكهم للحكمة، قال ابن عاشور: "فالمقصود التنبيه إلى نفاسة ما وعظهم الله به، وتنبيههم إلى أنَّهم قد أصبحوا به حكماء بعد أن كانوا في الجاهلية جهلاء، فالمعنى: هذا من الحكمة التي آتاكم الله، فهو يؤتي الحكمة من يشاء"⁸¹.

وفي هذا ترجيح لوعد الرحمن بالإخلاف على المنفقين على وعد الشيطان الذي يخوف النَّاس من الفقر، فيثير في نفوسهم الحرص والشح والتكالب؛ فوعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل، ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والحس، وأنَّ الحكمة كلُّها من عطاء الله تعالى، وأنَّ الله تعالى يعطيها من يشاء"⁸².

3- أنَّ الحكمة تقتضي ألا يكون الإنفاق إلا في سبيل الخير، فكما يحرص بعض النَّاس على الإنفاق في سبيل الخير، يحرص آخرون على الإنفاق في سبيل الشر والضلال، وهذا لا يغيِّر من أصل التسمية، قال الله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ

⁷⁷ أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، 2/ 686.

⁷⁸ أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 1/ 262.

⁷⁹ قصد البقاعي بذلك مناظرة آية الكرسي في وقوعها بعد آية الإنفاق، فقد سبق آية الكرسي، قول الله Y: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: 254].

⁸⁰ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 4/ 97.

⁸¹ ابن عاشور: التحرير والتنوير، 3/ 61.

⁸² انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 7/ 60، وقطب: في ظلال القرآن، 1/ 313.

عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [الأنفال: 36]، وقد أشار لهذا المعنى البقاعي حيث قال: "فعطف عليه حثاً على الإصرار بالنفقة في الخير والوفاء بالنذر، وتحذيراً من الإنفاق في المعصية"⁸³.

فتكون الآية المعارضة، وكأنها أمرٌ بالنفقة وترغيب بها من جهة، وتحذير من النفقة في المعصية من جهة أخرى؛ لأنَّ الإنسان بطبعه يحب أن يتصف بوصف الحكمة ورجاحة العقل، وطريق ذلك فهم كلام الله والاستجابة لأمره، فالسخي الكريم: هو حكيم عليم بسنن ربه الذي وعده بالإخلاص عليه في الدنيا أضغاث مضاعفة، ثم الأجر الوفير في الآخرة. وذلك من قول الله: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 245]، فيدفعه هذا العلم إلى المسارعة في الإنفاق وعدم الخوف من وعد الشيطان بالفقر، وهذا المعنى يدركه أصحاب العقول الراجحة والقلوب العامرة بالإيمان.

ويبدو من هذا الاعتراض معنى آخر؛ وهو تأنيس الفقراء من المسلمين الذين لا يملكون مالاً، بأن يتعلموا العلم والحكمة، وينفقوا من العلم؛ فمن أوتي العلم؛ فقد أوتي خيراً كثيراً، يفوق الخير الذي أعطاه الله Y لعبده المؤمن من مال وجاه وسلطان، فكم سطر التاريخ ذكر العلماء من الفقراء، ولم يسطر ذكر الأغنياء، ويشهد لهذا القول عدة شواهد من أهمها:

1- تفسير الحكمة؛ فقد ذكر أهل التفسير عدة معانٍ للحكمة، وهي: (القرآن والفقه به، الإصابة في القول والفعل، العلم بالدين، الفهم، الخشية، النبوة)⁸⁴، وقد بيّن الطبري أنها مأخوذة من "الحكم" وفصل القضاء، وأنها الإصابة، بما دل على صحته، وبذلك رجح أن يكون معنى الحكمة الإصابة في القول والفعل، حيث قال: "فتأويل الكلام: يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيراً كثيراً"⁸⁵.

ومن الإصابة في القول والفعل أن يملك الإنسان علماً يبلغه للناس، وهذا العالم الذي آتاه الله علماً يعلمه للناس، أفضل حالاً من الذي آتاه مالاً ينفق به، وهذا المعنى الدقيق جداً، لا يعقله إلا أصحاب العقول النيرة.

⁸³ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 4/ 97.

⁸⁴ انظر: الطبري: تفسير الطبري، 5/ 576-579، ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، 1/ 242، وقد ذكر أحد عشر قولاً في تفسير الحكمة، وابن كثير: تفسير ابن كثير، 1/ 700.

⁸⁵ الطبري: تفسير الطبري، 5/ 579.

2- ويشهد لذلك جملة من الأحاديث التي قرنت بين العلم والإنفاق، ومنها:

• قال رسول الله: "إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ"⁸⁶، وهذا الحديث يتفق تماماً مع الآية المعترضة، فمن أبرز معاني الحكمة: العلم، والأنبياء لم يورثوا المال، وأنما ورثوا العلم، وعبرة: (من أخذه أخذ بحظ وافر)، تتفق مع قول الله: (فقد أوتي خيراً كثيراً).

• قال رسول الله: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"⁸⁷، وهذا أوضح في الدلالة، على المعنى المذكور، وفيه دلالة واضحة أنَّ الحكمة هي العلم، واشتمل الحديث على كلمة الحكمة، الواردة في الآية، والنفقة الواردة في سياق الآية، وهذا يشهد بشكل ظاهر، أنَّ الآية تأنيس للفقير كيلا يحزن؛ إذ بإمكانه أن ينفق من علمه بدل نفقة المال، فهي أفضل وأثمن.

• قال رسول الله: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ"⁸⁸، وفي هذا الحديث بين النبي: أنَّ العلم يكون عاصماً لبعض الأقوام عن طلب المال ورضاهم بما قسم النبي، فقد كان النبي يُعطي أقواماً،

⁸⁶ ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الايمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، برقم 223، 1/ 81، أبو داود، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، برقم 3641، 3/ 317، والترمذي: سنن الترمذي، أبواب العلم، باب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْفَقْهِ عَلَى الْعِبَادَةِ، برقم 2682، 4/ 346، وقد صححه الزيلعي، والألباني، أنظر: الزيلعي؛ جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (المتوفى: 762هـ) تخريج أحاديث الكشاف، 9/ 3، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1، 1414هـ.. والألباني؛ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفى: 1420هـ)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، 2/ 1079، المكتب الإسلامي.

⁸⁷ البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضل العلم، بابِ الْإِغْتِبَاطِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، برقم 73، 1/ 25، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بابِ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلُ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فَهْمِهِ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، برقم 816، 1/ 559.

⁸⁸ البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، بابِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِنَوَائِبِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَسَاكِينِ وَإِيفَاءِ النَّبِيِّ، أَهْلَ الصُّفَّةِ وَالْأَزْمَلِ، حِينَ سَأَلَتْهُ فَاطِمَةُ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ الطَّحْنُ وَالرَّحَى: أَنَّ يُخْدِمَهَا مِنَ السَّبْيِ، فَوَكَّلَهَا إِلَى اللَّهِ، برقم 3116، 4/ 85، مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النبي عن المسألة، برقم: 1037، 2/ 719.

ويكل آخرين إلى إيمانهم، وهذا يدلّ على أنّ العلم والإيمان نافع أكثر من المال فمن أُعطي العلم وأنفق منه وعلم به، يكون أحسن حالاً ممن أُعطي المال وأنفق منه.

كل هذه الأحاديث تشهد للمعنى المذكور- أنّ الحكمة أثنى من المال- وبإمكان كل مريد مجتهد تحصيل العلم النافع، وتعليم الناس به، وبذلك يكون قد أوتي خيراً كثيراً، وهذا المعنى يشهد له قول النبيّ ع: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"⁸⁹، والقرآن الكريم أعظم العلوم وأشرفها.

رابعا: ربط الآية بمحور السورة الرئيس: يظهر ارتباط الآية بمحور السورة الرئيس بشكل ظاهر، باعتراضها، وبما تحمله الآية من معان، وأبرز هذه المعاني معرفة معنى الحكمة، ومن أبرز معاني الحكمة: الإصابة في القول والفعل، وهذا هو لب الهداية.

أما الاعتراض، فهو حاضٌّ على النفقة من جهة، وحاضٌّ على بثّ العلم من جهة أخرى، ولن يفعل ذلك إلا من عمّر قلبه بالهداية وابتعد عن الضلال.

الموضع الرابع والأخير: قول الله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 277].

أولاً: المعنى الإجمالي للآية المعارضة: آية أكد الله بها الثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، لتقرر الجزاء العظيم الذي يستحقونه، فلا يخافون يوم القيامة لما هو آت، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

ثانياً: بيان وجه اعتراض الآية: وقعت هذه الآية معترضة في سياق الحديث عن الربا، والاعتراض في هذه الآية واضح وبارز، لدرجة أنّ الذي يحفظ هذا الموضع من القرآن الكريم، ربما في كثير من الأحيان ينسى هذه الآية، لشدة اتصال ما قبلها بما بعدها، قال ابن عاشور، مثبتاً اعتراض هذه الآية: "جملة معترضة لمقابلة الذم بالمدح"⁹⁰.

ثالثاً: الكشف عن مناسبة الاعتراض للسياق: يظهر للمتأمل قوة ارتباط هذه الآية بسياقها من خلال عادة القرآن الكريم في مقابلة المدح بالذم، والوعد بالوعيد، والثواب بالعقاب، قال الرازي: "اعلم

⁸⁹ البخاري: الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ برقم 5027، 6/ 192.

⁹⁰ ابن عاشور: التحرير والتنوير، 3/ 93.

أَنَّ عادة الله في القرآن مطردة؛ بأنَّه تعالى مهما ذكر وعيداً، ذكر بعده وعداً؛ فلَمَّا بالغ هاهنا في وعيد المرابي، أتبعه بهذا الوعد⁹¹.

وقال أبو حيان: "مناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة، وذلك أنَّه لما ذكر حال أكل الربا، وحال من عاد بعد مجيء الموعظة، وأنَّه كافر أثيم، ذكر ضد هؤلاء ليبين فرق ما بين الحالين"⁹².

وقد أكَّد ابن عاشور هذا المعنى بقوله: "جملة معترضة لمقابلة الذم بالمدح، والمقصود التعريض؛ بأنَّ الصفات المقابلة لهاته الصفات صفة غير المؤمنين"⁹³، كما أشار إلى أمر مهم بعد نقله للنص السابق، بقوله: "والمناسبة تزداد ظهوراً لقوله: (وَأَتُوا الزَّكَاةَ)"⁹⁴، وهذا يعني أنَّ مركز ارتباط هذه الآية بما قبلها وما بعدها، هو موضوع الزكاة، وقد صدق ابن عاشور في ذلك، فعند تأمل النَّص القرآني يظهر ذلك بشكل واضح؛ فقد ورد قبل هذه الآية قول الله: {يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ} [البقرة: 276]، والصدقات تشمل صدقة التطوع والزكاة المفروضة، وبذلك ترتبط الآية بما قبلها بهذا الموضوع بالتحديد، وترتبط أيضاً، بالموضوع القرآني السابق لموضوع الربا، لورود عدة آيات متتالية تحضُّ على النفقة، وتبيِّن بعض أحكامها.

قال سيد قطب: "ويجعل (الزكاة) قاعدة هذا النظام، في مقابل نظام الجاهلية الذي يقوم على القاعدة الربوية"⁹⁵.

وتتصل هذه الآية أيضاً بما بعدها في موضوع الزكاة والنفقة، بقول الله، بعد الآية المعترضة بآتين: {وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 280]، وبذلك يظهر أنَّ الزكاة والنفقة في الآية المعترضة هما محور ارتباطها بما قبلها وما بعدها.

وبذلك يكون السياق مترابطاً بذكر الشيء وضده، ومن الفوائد اللغوية أنَّ الربا والزكاة يشتركان في الدلالة على الزيادة عن الأصل⁹⁶، لكن الفرق في المعنى بائن وشاسع، وتظهر هذه المقابلة بشكل واضح

⁹¹ الرازي: مفاتيح الغيب، 7/ 81.

⁹² أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، 2/ 711.

⁹³ ابن عاشور: التحرير والتنوير، 3/ 93.

⁹⁴ ابن عاشور: التحرير والتنوير، 3/ 93.

⁹⁵ قطب: في ظلال القرآن، 1/ 329.

⁹⁶ الربا: هو في اللغة الزيادة، والزكاة وَهُوَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ، انظر: ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ): غريب الحديث، 1/ 184، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397هـ، الهروي: تهذيب اللغة، 5/ 200.

جدا، في قول الله: { وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ } [الروم: 39]، فالربا جرم محرم توعد الله فاعله بالمحق وذهاب البركة، أما الزكاة فهي نماء وطهر وزيادة، فبالمقابلة بين الربا المحرم، والزكاة الواجبة يظهر قبح الربا أكثر، فيكون النفور منه أشد.

ويظهر أثر هذه المقابلة في الوعد والوعيد المترتب على كل منهما فالله أغلظ في الوعيد على فاعل الربا، فوصفه ابتداءً كالذي يتخطه الشيطان من المس، وحكم الله على فاعل الربا غير التائب بالنار والخلود فيها، ثم وعده بالمحق، قبل الآية المعارضة، وبالحرق بعدها، وناسب هذا الوعيد الشديد، وعد الله عباده المؤمنين بالأجر والأمان، قال سيد قطب: "{لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}"، في الوقت الذي يوعد أكلة الربا، والمجتمع الربوي بالمحق والسحق، وبالتخييط والضلال، وبالقلق والخوف"⁹⁷.

رابعا: ربط الآية بمحور السورة الرئيس: يظهر ارتباط هذه الآية المعارضة بمحور السورة بوجه قوي؛ وذلك أن أعلى درجات الهداية: الإيمان والعمل الصالح، وبذل المال على ما أمر الله به، مع ما جُبلت عليه النفس من حب المال والشح في إنفاقه، قال الله: {وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} [النساء: 128] [النساء: 128]، ويتأكد هذا المعنى بموقع الآية معترضة وسط آيات الربا، وكأن الاعتراض فيه دلالة أنه رغم قساوة الواقع الذي يعيشه الإنسان، وانكباب الناس على الربا، والمعاملات المحرمة، والبعد عن الإيمان والعمل الصالح، وتقصير الناس في الصلاة، إلا أن هنالك ثلة مؤمنة ثابتة صابرة، طامعة في الأجر والثواب لا يضرها عصيان الناس، ولا يغيرها زخرف الباطل؛ ولذلك استحضرت هذه الفئة المتهتدية البعيدة عن الضلال، وعد الله بأن: "{لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}" [البقرة: 277].

خاتمة:

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات وهي كالآتي:

- 1- أن التعريف المختار للاعتراض في القرآن الكريم، هو: إدخال جملة أو أكثر داخل السياق القرآني دون التأثير على البناء النحوي للجملة الأصلية، لتحقيق غايات بلاغية، مثل التأكيد، والتوضيح، والتنبيه، أو إبراز معنى معين يفيد السامع.

⁹⁷ قطب: في ظلال القرآن، 1/ 329.

2- بدأ الاهتمام بأسلوب الاعتراض مبكراً عند أهل التفسير: وكان أول من أشار لهذا المصطلح بوضوح؛ الإمام الطبري، وأول من أظهره الواحدي، ثم شاع في كتب التفسير، وكان من أكثر من اهتم به، الزمخشري والسمين الحلبي، وابن عادل، والألوسي، والمظهري.

3- ظهر الاهتمام الكبير بأسلوب الاعتراض عند ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير)، فلا يجاريه أحد من المفسرين ممن سبقه ولا ممن أتى بعده في عنايته بهذا الأسلوب، حيث لا يكاد يترك موضوعاً فيه جملة أو آية أو آيات معترضة وسط سياقها إلا ونبّه إلى هذا الأسلوب.

4- من أنواع الاعتراض في القرآن الكريم اعتراض الجملة في الآية واعتراض الآية والآيات في السياق الواحد.

5- ترتبط الآيات المعترضة غالباً بالسياق السابق واللاحق، ولكن ارتباطها بالسياق السابق أظهر.

6- ترتبط بعض الآيات بسياقها، وذلك من خلال معرفة سبب نزولها، حيث يظهر من خلال معرفة سبب النزول أن الآية لها تعلق بالسياق الواردة فيها حتى وإن بدت مستقلة عنه.

7- قدمت الدراسة ثلاثة نماذج مختارة لآيات معترضة في سورة البقرة، وظهر ارتباطها الوثيق للسياق الواردة فيه، وظهر ارتباطها بسياقها من خلال عدة أوجه من أهمها:

أ- المقابلة، مقابلة البشارة بالندارة والثواب بالعقاب، والعمل الصالح بالعمل الفاسد، وهذا كثير في القرآن الكريم، وهذا من أبرز أسباب اعتراض كثير من الآيات للسياق الواردة فيه.

ب- تثبيت النبي والمؤمنين، وتأنيسهم، وذلك باعتراض بعض الآيات التي فيها تسلية للنبي وسط سياق الآيات التي تصف تكذيب الكافرين وعنادهم.

ت- لفت نظر النبي والمؤمنين إلى بعض المعاني الخفية، وذلك مثل دلالة اعتراض آية الدعاء وسط آية الصيام، بأهمية الدعاء للصائم، وأنه حري بالإجابة.

أما التوصيات:

فإني ألفت نظر الدارسين إلى هذا العلم الذي يخدم النص القرآني، ويظهر ترابطه واتساقه، ويدحض وهم الجاهل، والمعاند الذي يظن أن الاعتراض موطن ضعف وإقحام لبعض النصوص في غير سياقها، وهذا الموضوع فيه أبواب كثيرة يمكن بحثها؛ من ضمنها:

1- تتبع أسلوب الاعتراض وتطور هذا المصطلح في كتب التفسير.

- 2- تتبع الآيات المعارضة في أجزاء محددة أو في القرآن كله ودراستها، وبيان سبب اعتراضها.
- 3- تتبع مواضع الاعتراض بأكثر من آية، حيث اقتصر هذا البحث على اعتراض الآية الواحدة للسياق، ومن أنواع الاعتراض الاعتراض بآيتين وثلاث آيات والاعتراض بالمقطع القرآني.
- 4- دراسة أسلوب الاعتراض عند ابن عاشور، وتتبع توجيهاته لاعتراض الجمل والآيات القرآنية، ومناقشتها، والخلوص إلى أهم توجيهاته لها، ومدى موافقة أو مخالفة المفسرين له في توجيهاته واختياراته.
- 5- تتبع الآيات المعارضة في القرآن الكريم التي وردت من قبيل تثبيت رسول الله ع.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ.
- الحميري؛ نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: 573هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1420هـ، 1999م.
- والفيروزآبادي؛ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م.
- ابن دريد؛ أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (المتوفى: 170هـ)، جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي البجادي، نهضة مصر للطباعة، 1431هـ.
- الفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري (المتوفى: 170هـ): العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ابن فارس؛ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م.
- الحلي؛ عبد العزيز بن سرايا بن علي (المتوفى: 750هـ): شرح الكافية البديعية، تحقيق: نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط2، 1412هـ.
- الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي الزين (المتوفى: 816هـ): التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ.

- الزركشي؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ، 1957م.
- العصامي؛ إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عريشاه عصام الدين الحنفي (المتوفى: 943هـ)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- وسيد مير شريف؛ علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني (ت 816هـ)، مبادئ قواعد اللغة العربية، تعريب: حامد حسين، مكتبة الفيصل، شاهي جامع مسجد ماركيت، اندرقلعة، شيتاغونغ، ط1، 1408هـ، 1987م.
- السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت 911هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداي، المكتبة التوفيقية، مصر.
- الطبري؛ أبو جعفر، محمد بن جرير (المتوفى: 310هـ): جامع البيان، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
- الواحدي؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (المتوفى: 468هـ): التفسير البسيط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.
- أبو عبيدة؛ معمر بن المثنى (المتوفى: 209هـجري): شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: محمد إبراهيم حور، ووليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط2، 1998م.
- ابن عاشور؛ محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: 1393هـ): التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- ابن الأثير؛ ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- ابن هشام؛ عبد الله بن يوسف بن أحمد، (ت 761هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط6.
- الكفوي؛ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الحنفي (المتوفى: 1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أبو علي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، (توفي: 377): المسائل العسكرية في النحو العربي، تحقيق: د. علي جابر المنصوري، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م.

- ابن جني؛ أبو الفتح عثمان الموصلي (ت 392هـ): اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- ابن فارس؛ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ): الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ، 1997م.
- العربي؛ راجح، أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم من خلال الكشف، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور محمد العيد رتيمة، جامعة الجزائر كلية الآداب، 2001/2002م.
- الألوسي؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: 1270هـ): روح المعاني، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ.
- أبو السعود: العمادي محمد بن مصطفى (ت 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الزركشي؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ، 1957م.
- والسيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، (ت 911هـ): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ، 1974م.
- وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طبعة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ.
- البقاعي؛ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت 885هـ): مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1408هـ، 1987م.
- البقاعي؛ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- الترمذي؛ محمد بن عيسى (المتوفى: 279هـ): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395 هـ، 1975م.
- الزمخشري؛ محمود بن عمرو بن أحمد (المتوفى: 538هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب، بيروت، ط3، 1407هـ.
- البخاري؛ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى: 256هـ): صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

- مسلم؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (المتوفى: 261هـ): صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أحمد؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ.
- والسيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1408هـ.
- الزحيلي؛ د. وهبة بن مصطفى (توفي: 2015): التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418هـ.
- قطب؛ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385 هـ): في ظلال القرآن، تحقيق: علي بن نايف الشحود.
- ابن الجوزي؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1422 هـ.
- الحرالي؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التُّجَيْيُّ الأندلسي (ت 638هـ): تراث أبي الحسن الحرالي، تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ط 1، 1418 هـ، 1997 م.
- ابن الجزري؛ شمس الدين، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ): النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي الضباع، 1431هـ.
- الواحدي؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (المتوفى: 468هـ): أسباب النزول، ص: 39، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط 2، 1412هـ، 1992م.
- ابن أبي حاتم؛ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: 327هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط 3، 1419هـ.
- الراغب؛ أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ): تفسير الراغب، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ط 1، 1422هـ.

- الألباني؛ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ): سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1.
- أحمد؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): المسند، شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.
- البيضاوي؛ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
- رشيد رضا؛ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- الطنطاوي؛ محمد سيد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.
- أبو حيان؛ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير (المتوفى: 745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صديقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ.
- الرازي؛ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (المتوفى: 606هـ): مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- الزيلعي؛ جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (المتوفى: 762هـ) تخریج أحاديث الكشاف، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1، 1414هـ.
- والألباني؛ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (المتوفى: 1420هـ): صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي.
- ابن قتيبة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ): غريب الحديث، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397هـ.